تعليم الكبار هو الموجة القادمة التى ستجتاح كل أشكال التعليم خلال السنوات القليلة القادمة، فالثورة المعرفية، وثورة وسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات وازدياد الطلب الاجتماعى على التعليم وعجز المؤسسات التعليمية التقليدية عن مواجهة هذا الطلب، وعن تلبية الاحتياجات المتغيرة والسريعة لسوق العمل، وارتفاع معدلات البطالة كل هذه العوامل وغيرها كانت من وراء بروز تعليم الكبار ليكون الصيغة التى يتوافر فيها ولها القدرة على التجاوب السريع مع هذه المتغيرات، فالمرونة التى يتمتع بها تعليم الكبار، والاستجابة لمختلف المواقف، والتوظيف الفعَّال لأحدث ما وصلت إليه تكنولوجيا التعليم والتعلم من مستحدثات جعلت التعليم ممكنًا ويسيرًا فى أى وقت وفى كل مكان، وبالتالى شاعت برامج الجامعات الافتراضية، والتعلم الإلكترونى، والتعليم المفتوح لتتيح لكل من يرغب فى مواصلة التعليم، أو لمن يريد فرصة ثانية، أو من يودون الاستزادة من المعرفة، أو تغيير مسارهم المهنى أو تنمية مهاراتهم وتحديث مؤهلاتهم.

من هنا استوعب تعليم الكبار أفقيًا صيغ التعليم النظامى وغير النظامى والعرضى، ورأسيًا ليشمل جميع مستويات المعارف والمهارات والمؤهلات، وهنا تلوح فى آفاق تعليم الكبار أزمة جديدة يمكن أن نطلق عليها «أزمة البحث عن مصطلح» لقد ضاق بالفعل مفهوم تعليم الكبار على ما صدقاته، ومن ثم بدأ استخدام مصطلح «تعليم الكبار»، بل هناك من دعا إلى حذف كلمة الكبار أيضًا من المصطلح حيث لم يعد هناك مبرر لوجودها؛ لأن نسبة كبيرة من جمهور تعليم الكبار حاليًا من الأطفال الذين يقبلون على مهارات تعليم الكمبيوتر، أو اللغات الأجنبية وخلافها.

كل ما سبق يؤكد نتيجة مهمة، وهى أن تعليم الكبار صار أكثر اتساعًا وشمولاً أو من ثم تعقيداً، وأن على الباحث فى هذا المجال أن يتوقع كل شىء، فتعليم الكبار صار أشبه بمن يهبط بمظلة على غابة إستوائية يسحره جمالها من علٍ، ولكن عليه بعد ذلك أن يجد طريقة وسط أغصانها المتشابكة، ودروبها المتعرجة المليئة بالأفاعى والعقارب فى حشائشه وبين شجيراته.

إن مهمة الباحثين فى تعليم الكبار أصبحت مهمة صعبة وخاصة عندما يتصدون لوضع الحدود بين تعليم الكبار والتعليم النظامى أو حتى داخل تعليم الكبار ذاته بين مجالات تعليم الكبار التى أصبحت لا تُعد ولا تحصى، وعندما يتجهون إلى تصنيف بحوثهم هل تنتمى إلى هذا المجال أو ذاك.

وقد واجه الدكتور/ أسامة فراج صاحب هذا الكتاب هذه الصعوبة من منظور الممارس على خط المواجهة، وليس المنظر المنعزل عن الواقع بمشكلاته وصعوباته، كما حاول سبر عمق هذا الواقع منقباً فيه محاولاً فى كل مرة أن يحفر فى منطقة جديدة، وأن يكتشف جديداً، وأن يبتكر حلولاً جديدة لمشاكل قديمة جديدة، مزمنة ومتغيرة.

من هنا تنوعت الدراسات التى ضمها هذا الكتاب فدارت حول قضايا متنوعة تعكس تنوع مجال تعليم الكبار ذاته، كما تعكس مشكلات الواقع، فدار بعضها فى مجال محو الأمية وبخاصة التغير القيمى عند المتحررين من الأمية، وتدريب معلمى محو الأمية فى ضوء حاجات الكبار التعليمية، كما دار بعضها حول إعداد معلم الكبار على المستوى الجامعى بكليات التربية، وهو مطلب صار أكثر إلحاحاً فى عالم اليوم، كما حاول وضع تصور مقترح لإمكانية تطبيق نظام تعليم جامعى من بُعد مستفيداً من إمكانات تكنولوجيا التعليم، ومن تجربة التعليم المفتوح بجامعة القاهرة، وينحو الدكتور أسامة فراج منحا عملياً ووطنياً خالصاً عندما يتصدى لمشكلتين فى غاية الأهمية والخطورة فى مصر وهما الأمراض المتوطنة فى المناطق العشوائية حول القاهرة، وإحجام المرأة المصرية عن المشاركة السياسية، ومن ثم عالج مجالين من أهم

مجالات تعليم الكبار خطورة فى هذه الأيام وهما التربية البيئية والثقافة السياسية، ثم تأتى الدراسة الأخيرة حول المشكلة الأبدية لتعليم الكبار فى مصر وهى قضية التمويل، ليطرح من خلالها عدداً من البدائل غير التقليدية لحل مشكلة نقص الموارد المالية المخصصة لتعليم الكبار فى مصر.

وبعد، تبقى كلمة فى حق مؤلف هذا الكتاب وهوالدكتور/ أسامة فراج رئيس قسم تعليم الكبار بمعهد الدراسات التربوية جامعة القاهرة فقد عرفته نموذجًا للجد والانضباط، والدأب، والجدية والمثايرة، وهى خصائص الباحث المنتج المضيف، وهو بحق أنتج وأضاف فله كل الشكر والتقدير.

**والله من وراء القصد..**

**أ.د/ سامى محمد نصار**

**أستاذ أصول التربية وعميد معهد الدراسات التربوية - جامعة القاهرة**